الحجاج المغالط في الخطاب الداعشي
في روايات وارد بدر السالم

م.م. سها رحيم عبد الرضا علي الراضي

مديرية تربية المثنى

الخلاصة :

تجسدت السفسطة أو المغالطة عند النقاد القدامى ضمن أساليب يستعملها الخطباء والشعراء لحمل المتلقي على قبول رسالته , إذ اختلفوا بين مؤيد ومعارض لهذه الظاهرة الخطابية , ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى وجود القرآن الكريم الذي كانت أحكامه تدعو لتجنب مثل هذه الأساليب في التعامل مع الآخرين وكان هنالك رأي للنقاد وقد أجمع ((العلماء وذو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح حجته وبيّن عن حقه , واستنقاص من عجز عن إيضاح حجته , وقصر عن القيام لحجته))[١].

فالحجاج الصحيح هو الذي يكون مؤيدا للصدق مع بيان الحق , والاحتجاج المخادع يكون مؤيداً للكذب مسانداً للباطل , وكان لابّد من توجيهه في الانتصار للحق ((فما وافق الحق منه فهو حسن , ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) [٢].

The erroneous pilgrims in the ISIS discourse

In the novels of Ward Badr Al-Salem

millimeter. Suha Rahim Abdul Reda Ali Al Radi

Muthanna Education Directorate

Abstract :

Sophistry or fallacy was embodied by the ancient critics within the methods used by orators and poets to get the recipient to accept his message, as they differed between supporters and opponents of this rhetorical phenomenon. Opinion of critics: “Scientists and people with intellects from the ancients have unanimously agreed to venerate the one who articulates his argument and explain his right, and detract from the one who is unable to explain his argument, and falls short of standing up for his argument.”

The correct pilgrim is the one who supports truth with the statement of truth, and deceptive protest supports falsehood and supports falsehood.

المقدمة :

تجسدت السفسطة أو المغالطة عند النقاد القدامى ضمن أساليب يستعملها الخطباء والشعراء لحمل المتلقي على قبول رسالته , إذ اختلفوا بين مؤيد ومعارض لهذه الظاهرة الخطابية , ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى وجود القرآن الكريم الذي كانت أحكامه تدعو لتجنب مثل هذه الأساليب في التعامل مع الآخرين وكان هنالك رأي للنقاد وقد أجمع ((العلماء وذو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح حجته وبيّن عن حقه , واستنقاص من عجز عن إيضاح حجته , وقصر عن القيام لحجته))[iii].

فالحجاج الصحيح هو الذي يكون مؤيدا للصدق مع بيان الحق , والاحتجاج المخادع يكون مؤيداً للكذب مسانداً للباطل , وكان لابّد من توجيهه في الانتصار للحق ((فما وافق الحق منه فهو حسن , ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) [iv].

ومن أفراد الشعب اليوناني الذين جعلوا من المغالطة وسيلة لنصرة فكرهم ومذهبهم الذي يعتقدون ويؤمنون به ويحاولون إقناع الآخرين به من خلال حجج تكاد تكون واضحة أو مبهمة, فكان الاهتمام بالبلاغة لقدرة محتواها على الخداع و بالأخص البيان , وهذا الموقف قد وافق عليه النقاد فيما بعد حيث أصبحت البلاغة تُعرف على أنّها ((كشف ما غمض من الحق , وتصوير الحق في صورة الباطل))[v].

والسفسطة هي :نوع من التفكير المعوج والمخادع وتعني الحكمة , فقد كانت الخطب التي يلقونها الهدف منها التأثير والإقناع , وليس في كونها معبرة عن قضية معينة تكون هادفة لمعانٍ ودلالاتٍ حكيمة . والخطيب السفسطائي عندهم هو ذلك الرجل المخادع الذي يجعل الكلام طوع أمره , هدفه الأساس هو إقناع المخاطبين بأفكار مخادعة وباطلة , واعتماده على الأسلوب المغالط المبطن بجمالية اللغة ,إذ تحولت دلالة السفسطة من البحث عن الحقوق وإرجاعها إلى أن تكون ((استدلالاً صحيحاً في الظاهر معتلا في الحقيقة))[vi].

ومن أمثلة السفسطة هي سفسطة المال ويقصد بها : المعلمون بالأجر، فهم أول من حدّد أجراص لدروسهم، وقد كان عظماء السفطائيين لا يدرسون في العادة إلا للأثرياء القادرين على دفع الأجور، لكن الجيل التالي عليهم بدأ يوسع من جمهوره أكثر وأكثر راضيا بمبالغ أقل [vii].

وهي ((وتقوم على التماس صدق الفكرة أو كذبها من مجرد النظر في النتائج المترتبة عليها فإذا كانت النتائج ايجابية تم قبول الفكرة))[viii].

إن للخطاب دوراً مهماً في عملية المغالطة فمن خلاله يحدد طبيعته , والدلالة التي يراد بها إقناع الآخر. وبه تتحقق عملية التواصل , فهو الأرضية التي تقوم عليها علاقة تشارك بين الأفراد والجماعات للوصول إلى قصدية معينة .

ويُعرف الحوار بأنّه ((فعل قصدي يتجلى في صورة متوالية من الرسائل وأفعال الكلام يتداولها واحد أو أكثر من المتحاورين بحيث يوجهها هدف مشترك يتعاون الطرفان من أجل تحقيقه ويلتزمان لأجل المقتضيات))[ix].

وفي النصوص السردية يعتمد على الحوار في تحديد مكونات النص وهي (المرسل والرسالة والمرسل اليه), إذ يشكل عنصراً مهماً من عناصر التواصل ويتم ذلك من خلال التفاعل بين طرفين أو أكثر يتطلب الفعل ورد الفعل , من أجل غاية إخبارية أو إقناعيه أو حجاجيه , ويتم ذلك عن طريق التفاعل التواصلي , والتفاعل هو مشاركة طرفي الحوار في الكلام حول مضامين إنسانية معينة , والتواصل هو تبادل الكلام بين شخصين يكون الاول متكلم والثاني مخاطب والأخير هو من يستمع أو يجيب , سواء كان بأسلوب صريح أو مضمر حسب نمط الملفوظ [x].

الخطاب الداعشي : الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه[xi], ومعنى ذلك أن الخطاب يشمل حالات الكلام المترابطة والمتناسقة , والمنسجمة بين أجزائها ما يؤدي إلى جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه . وهو أيضاً ((القول المنطوق أو المكتوب , ويمثل في الكلام والحوار والمناقشة والخطبة والرسالة وكافة أشكال الكلام المفيد))[xii] وكل خطاب يتكون من من مجموعة من النصوص المترابطة بعلاقات مشتركة [xiii].

ويشكل الخطاب وحدة لسانية متعددة الجمل , كملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة , فضلاً عن كونه يفرز أنماطه الذاتية وسننه الدلالية فيكون سياقه الداخلي هو المرجع , ليقيم دلالته حتى أصبح الخطاب معجم بذاته [xiv].

وهناك أنواع للخطاب بحسب الأداء وهي : (الشخصي المنطوق والمكتوب والمسجل والمنقول عبر وسيلة نقل أو قناة, وقد كان لخطاب التنظيمات المتطرفة دور كبير ومؤثر في استمالة خصومها واتباعها معاً, كون الخطاب هو قدرة الخطيب على النظر في كل ما يوصل إلى الاقناع في أي موضوع من الموضوعات ويفهم طبيعة وسلوك وثقافة المتلقي . ويتخذ الخطاب من موضوعه الأساس من اللسانيات , إذ يرتبط في عمومه بمفاهيمها ومناهجها [xv].

وكل خطاب يحمل في طياته سمات لغوية ضمن نسق رمزي مرئي أو سمعي أو لفظي أو غير لفظي ويستهدف المتلقين بقصدية استحضار المعاني لديهم والتأثير فيهم [xvi].

يُعد الخطاب الداعشي جزءاً من الخطاب السَّلفي وهو خطاب متعلق بفكر وحركات سلفية جهادية , وهو خطاب تقليدي متمركز على مرجعية دينية تجمع بين الدين والسياسة , وفق مفهوم ان الخلافة الأسلامية هي اصلاً من أصول الدين , وهو نوع من أنواع الحطابات الدينية المتأثرة بأفكار (أحمد بن حنبل) و(ابن تيمية) و(محمد عبد الوهاب) وهي قائمة على العنف والتحريض والقطيعة [xvii].

وقد يكون الخطاب لتحقيق أهداف شخصية وليست دينية , ويستخدم الدين كوسيلة لأقناع المخاطب لدافع الانتقام او ردة فعل او لدافع طائفي او سياسي , الهدف هو تعبئة الجماهير بأتجاه موقف معين أو فكر معين لتحقيق التأثير من خلال استخدام المؤثرات التي يستجيب لها الافراد وهي مادية ومعنوية للوصول الى غاياتهم , حيث يتركز الخطاب على النقل لا العقل من التراث الديني , وهو يتصف بالجمود والابهام والرجعية والشمولية [xviii].

جاء الحجاج المغالط في الخطاب الداعشي في روايات (عذراء سنجار , بنات لالش , وحوريات الجبل) للروائي العراقي (وارد بدر السالم) في نصوص سردية واضحة, إذا وظف الكاتب الخطاب الداعشي ضمن أحداث قد عاشتها الفتيات الايزيديات وكان ذلك وسيلة للتواصل في نشر الفكر الديني السلفي الذي يجعل من المرأة سلعة في ايديهم ويجب تطبيق عليها الحد إذا كانت غير مسلمة او تعتنق الاسلام وتصبح رهينة لنزواتهم , وقد ظهر الحجاج المغالط وهو الفكر المعوج في افكارهم التي اتخذت من الدين ذريعة لتحقيق رغابتهم وتنفيذ افكارهم التي لا اساس لها من الصحة , فالفكر الذي يعتمدون عليه هو حجاج مغالط بحد ذاته , فقد استخدموا

الدين الاسلامي وسيلة لنشر افكار التي لاتمت للأسلام بصلة سوى إنها تحقيق رغبات وظلم واضطهاد للنسوة الايزيديات.

كشفت الرواية الاولى (عذراء سنجار) التي اوضحت في بشاعة الوحشية , التي ارتكبها بح تنظيم داعش الارهابي بحق الديانة الايزيدية , , ابشع الانتهاكات بحق المدنيين المسالمين , من القتل والذبح والسبي والاغتصاب والخطف , وممارسة تجارة الرق ضد الفتيات القاصرات , ومزاولة اساليب التعذيب والمتاجرة بالفتيات بدعارة رخيصة , او تقديمهن كهدايا متبادلة بينهم , ومن ترفض يكون مصيرها الجلد بالسايط والموت والذبح , والاجبار بالاكراه على تغيير ديانتهن الايزيدية , بدعوى انهن كافرات , ويجب ان يتحولن الى جواري مسلمات للمتعة الجنسية . حولوا سنجار (شنكال) من مدينة الله والشمس والتين والزيتون , الى مدينة اشباح تنعق وتنبح بها جنود داعش . هكذا كان استعرض المتن السردي الدرامي لاحداث رواية (عذراء سنجار) في حبكتها الفنية الراقية , من الاثارة الملتهبة بالمغامرة , لتسلط الضوء الكاشف على فاجعة العصر الحديث , مذبحة الايزيديين . بتوظيف كل التقنيات في استخدام التاريخ التوثيقي , واستعراض الطقوس والعادات الديانة الايزيدية , والجمع بين الاسطورة والحلم , وتوثيق المشاهدات الحية من الناجيات من جحيم داعش , واستطعن الهروب والنجاة من محرقة العذاب والموت , وتحدثن عن تجربتهن القاسية في قبضة عناصر الخلافة الداعشية , وكذلك توظيف مواقع التواصل الاجتماعي , لتكون رواية (عذراء سنجار) شهادة حية توثيقية دامغة , الى الرأي والضمير المجتمع الانساني , ومنظمات حقوق الانسان , والمنظمات الدولية . انها رواية مركبة على عدة اعمدة في سياقها السردي , وتستحق بجدارة ان تكون ملحمة عراقية , في المأساة الايزيدية

تدور مجمل أحداث الرواية حول شخصية (سربست) بطل الرواية الذي فقد ابنته (نشتمان)عندما هاجم داعش المدينة فيقرر البحث عنها داخل المدينة التي يصفها لنا بلسان راوٍ عليمٍ ((**مع لحظات التأمل السريعة أخذ يتشمم رائحة الشتاء التي يعرفها حينما تكتظ الأرض بالماء وتبث رحيقا ما يزال يعرش في روحه وتتدلى عناقيد ورده في قلبه الضعيف**)) [xix] , حيث تكشف عملية البحث هذا التداخل والتماثل مابين نشتمان الإبنة وشنكال الذاكرة والتي تتجلى في نشتمان و(سنجار)عذراء مختطفة في صورة (نشتمان) وبالتالي هو بحث عن المكان والجسد داخل المكان و وهنا حجاج مغالط في تكوين الشخصيات والدلالة الغرائبية التي يحاول الكاتب

جذب المتلقي واقناعه بوجودها و فهو يحاول ان يثبت بأن سنجار هي العذراء التي اغتصبت و فقد جعل من المكان حجة مغالطة في اثبات هوية الايزيدين .

في نص آخر ينتقل من شخصية الى اخرى بجعل الشخصية الواحدة هي مشتركة بين كل الشخصيات : **((كنت أبحث بينهن على نشتمان فوجدتهن كلهن نشتمان..كلهن يصرخن توتكي دري بابو))**[xx]. معاناة شخصية نشتمان هي معناة الايزيديات جميعاً .

يظهر الكاتب في روايته الحجة في توظيف الزمن الفجائعي المغلق على شخوصه، لكنه يتحرك باتجاهين؛ أفقياً زمن يتحرك بوجود (سنجار أسيرة داعش) وزمن أسطوري يتحرك عمودياً , فهو يريد اين يشير الى مسألة مهمة وهي وجود داعش في هذا المنطقة وتحديداً (سنجار) والاساليب التي استخدموها في جعلهم طوع لافكارهم وقتلهم للرجال واستباحتهم للنساء .

(تتخاطر صور العم آزداد وعيدو وسالار والحامل وكلبها والشرطي دلشاد ونالين التي رقصت عارية تحت المطر على الجبل وحرائق سنجار) [xxi]. ان اختيار ابطال الرواية جلهم من (المهمشين) قبل وبعد داعش كونهم أقليات معزولة لا يملكون الحق في ملكية الأرض بفعل الاضطهاد السياسي الذي مورس بحقهم من الأنظمة السياسية المتعاقبة عربا وكردا، وهو ما دفعهم للبحث والتشبث بدينهم ومكانهم كدافعية وجودية مركزية، وكخطاب حجاجي ممانع يوظف داخل منظومة أسطورية رمزية لكسر السائد الفجائعي: تهميش، إقصاء، سبي وإخصاء، اغتصاب، جلد ومقابر جماعية، وجميع وسائل الإذلال الحديثة والقديمة، لذا تتخذ الأحداث طابعاً سحرياً متخيلاً من خلال أبطالها، رغم أنها شخصيات تحاكي الواقع، فآزاد بطل الرواية يغير اسمه بعد حصوله على وثيقة مرور تسقطها حمامة على الجبل، وهو حجة مغالطة تبين مدى قوة الجماعات الاسلامية وخوف الايزيدين منهم , وقد عمد الكاتب الى توظيف الغرائبية في نصوصة لاظهار الافكار المبطنة الهدف من ذلك هو اظهار فكر داعش بصورة غير مباشرة من جهة ومن جهة اخرى لاضفاء طابع التأثير في القارئ . على إثرها يتغير اسمه من آزاد إلى سربست **(عدت إليك يا شنكال بورقة براءة من حمامة غريبة)**[xxii] .

وظف الحجاج المغالط في الخطاب الداعشي بصورة غير مباشرة , إذ اعتمد على تقنية سردية ثلاثية الأبعاد لجأ اليها الكاتب في بناء المشاهد، مستعينا بطرق وصفية وسردية متخيلة؛ سمعية وبصرية وحسية، مما أتاح

مساحة اشتغال واسعة و تنوع في الروي و حرية نسبية للشخوص، فبالرغم من أن سرد الأحداث يقع على عاتق راوٍ عليم كل العلم مشارك – لكنه يختفي حين تبدأ الشخصيات بإبداء وجهة نظرها، وهي حجة مغالطة لاظهار الخطاب في النصوص من خلال الحوار الذي نقل صوراً من زاوية مختلفة جاءت كالآتي :

(سربست) يرى أن ما تتعرض له سنجار نتيجةً للوهم الديني بالجنة والخلاص في الآخرة، فداعش يقتل ويسبي كوننا دين كفر كما أن الديانة الأيزيدية فشلت في الدفاع عن أتباعها، كونها ديانة مغلقة على مريديها، لذا هي تتشبث بالماضي وترفض التجديد والانفتاح على التحولات، وبالتالي دين لا يحمي مريديه على مر التاريخ لا نفع منه ((**وأخيرا فهمت أن الدين أحد أسباب آلام البشرية**)) [xxiii] . و(سالار) الذي يجد في أخفاء أطفاله في بئر حتى العمى والموت عملاً بطولياً، والراهبة نالين تجد أن خلاص سنجار بيد خودا ، وعيدو يجد الحل بالمقاومة، لذا يقتل حجي خان ويحرق على أثرها ، ودلشاد الشرطي يعتقد الحل في مسايرة جنود الخلافة ....الخ. سعى الكاتب من العتبة الأولى للعنوان (عذراء سنجار) وصولا للعتبة الخاتمة (شجرة الدين) إلى الكشف عن الهدف غير المعلن في ظاهر النص وهو: الدين صناعة بشرية بامتياز، كون الدين لحظة عجز إنساني، لذا وجد لسد هذا العجز، ومع التطورات العلمية والحضارية الحاصلة لم تعد هذه الصناعة مقنعة وصالحة لإنتاج حياة إنسانية سوية متجددة، قيمها المعرفة والحب والعدالة، يقولها بصوت ضحايا الدين نفسه (المهمشين) سربست والصبي وعيدو وابو يقين ((**سنؤسس أنا وابنتي بعدما أجدها ديناً جديداً**))[xxiv] ، وقد كشفت رواية (عذراء سنجار) عن الفكر المغالط في اظهار الحجة إذا اعتمد الكاتب سرد الأحداث بوعي المهمش والمغلوب عبر فضح كل أشكال السلطة ومن ساهم في إعادة إنتاج خطاب السلطة السياسي والقتل والإقصاء الديني والمذهبي والعرقي ضد كل الأقليات في العراق صراع يتلون بشكل ذكي ليكون صالحا لكل زمان ومكان، فهو ديني إسلامي, أيزيدي في سنجار، طائفي سني, شيعي في باقي مدن العراق ،وعرقي كردي, تركماني أيزيدي في كردستان، وبالتالي نحن أمام خطاب مصالح يحمل حجة دينية لتمرير أجندات خارجية وداخلية، صراعٌ ضحيته المهمشون والأقليات، لكنه يتسع ليشمل الجميع بما فيهم أصاحب الدين والمذهب والعرق.

أما شخصية (عيدو المجنون) الايزيدي الذي شارك في الحرب العراقية الايرانية , وسجن في معتقل الامن في البصرة , وخرج بنصف عقل (مجنون) وتميز بالمقاومة والمجابهة في الوقوف بوجه عناصر داعش , باستخدام

اسلوب التهكم والسخرية , في عملية (الضراط) بصورة مضحكة , فكان يواجه كل خطاب تهديدي بالانتقام للمرتدين , او الاخلال بالاسفاف بالطاعة والسمعة المطلقة , لخلافة الخليفة الداعشي المعتوه (ابو بكر البغدادي) يواجههم (بضرطة) قوية , تحول اجواء الرعب والخوف على ملامح وجوه الحاضرين , الى ضحك وسخرية , وكان يناصب العداء والكره الشديد من ممارسات (حجي خان الافغاني) الذي لايتورع من استخدام العنف والقتل لابسط شبهة وتهمة وحتى بالمزاج , وتجرع منه الاهالي , الهوان والعذاب , وفي لحظة تراكم الغضب والحقد من(عيدو) , قام بعملية قتل (حجي جان الافغاني) لينقذ الاهالي من شروره , بضربات متولية من العصا التي لم تفارقه طوال ثلاثة عقود من الزمن , وطرحه ارضاً غارقاً في دماءه النازفة , وسط ذهول الناس , بأن هذا المجنون , ولد في داخله بطل مقاوم , ولكن بعد فترة , القي القبض عليه وحكم بالاعدام , حرقاً في قفص تشتعل فيه النيران , بالضبط مثلما حصل للطيار الاردني . الشهيد (معاذ الكساسبة) , ولكن فجأة والنارتلتهب قدمي (عيدو) شق عنان السماء صقر ضخم وحط على القفص وفتح الباب ويطير ب (عيدو) الى عنان السماء , وهي لها دلالة رمزيزية , بأن الشهداء يكون ثوابهم الجنة . المرأة الحامل : ذبحوا زوجها امام عينيها وهي في الشهر الاخير من حملها , اخرسها الموقف المرعب , وهي ترى زوجها ينحر كالشاة , ويفصل رأسه عن جسده , وتحرش بها احد عناصر داعش جنسياً بمد اصبعه من وراء ثوبها , في المنطقة الانثوية الحساسة , ولكن فجأة سحب يده كالمدوغ , وسقط جثة هامدة يسبح بدمائه , كالجثة المذبوحة , وكما تقول ((**امممممم . . خرجت من اسفلي حية لالش السوداء , ولدغته لدغة مميتة , وقتلته في الحال . وضافت بالثقة ذاتها :**

– شيخادي , لا يتخلى عن الايزيديات المؤمنات))[xxv].

وهي اشارة الى ما سوف يذكر عن رحلة النساء الحوامل الايزيديات اللاتي حررهن داعش في رواية (بنات لالش).

أما الرواية الثانية (بنات لالش) فهي تصعيد درامي لحادثة الخطف واستلاب الهوية المحلية لدى الطائفة الأيزيدية التي عانت على مدار تاريخها من السبي والاغتصاب والتهجير, ومثلما كانت (عذراء سنجار) تلقي

الضوء على حادثة الاحتلال الداعشي الهمجي، عززت (بنات لالش) هذا الرصد الميداني وانطلقت من البؤرة ذاتها في البحث عن صبية الروايتين التي توارت خلف أجندة داعشية غامضة وغريبة.

تفتح رواية (لالش) الأفق السنجاري بشكل واسع راصدة الكثير من جغرافية المكان وتضاريسه وتاريخيته في محاولات حثيثة للوصول إلى قلب المدينة وقلب المشكلة لانتشال صبية سنجارية لم تظهر في (عذراء سنجار) لأسباب واقعية وفنية، على أن "بنات لالش" تُظهرها في اللحظة الفنية المناسبة في صراع درامي عجائبي إلى حد كبير , وهي تظهر انتقالة في الفكر الداعشي وخطابه فبعد ان كان يعتمد على القتل والسبي والانتهاك في رواية (عذراء سنجار) نجد هنا انتقالاً الى خطاب آخر وحجة أخرى وهي اعاطائهم المال مقابل تحرير الاسيرات الايزيدات , فالحجاج المغالط بعد ان كان قائم على خطاب الخوف والترهيب في وضع حجر الأساس في تلك المناطق في جعل الدين ذريعة للوصول الى الهدف عن طريق التأثير , يظهر هنا خطاب أخر لتحقيق عملية التواصل .

كشفت رواية (بنات لالش) عن الاستقلال في المأساة ذاتها فتقدم ملحمة ثانية من ملاحم لبطولة الفردية ذات النسق الثأري لعدو عالمي شرس ومغتصب ومنتهك للأرض والعرض. وهي واحدة من أغرب السرديات الخيالية التي تلامس الواقع الأيزيدي وتحوّله الى عجائبيات روائية.

تجسد الحجاج المغالط في رواية (بنات لالش) في الفكر الديني ونظرة الدواعش لهم على انهم كافرون وقد ظهر هذا واضحاً في خطابات حوارية في نصوص ضمن الرواية منها حوار الرجل الذي يبحث عن ابنته بين الفتيات اللاتي قد تم تحريرهن من سيطرة داعش **((قال الرجل وهو يتأمل المجموعة الصغيرة التي تكاثرت حولة ونشرت الهدوء بتلقائية غريبة :**

- **سأذهب إليها .**

تساءلت الفتاة الاولى بصوت خرج من هدوئه إلى حد ما :

- **كيف؟ سيقتلونك يا عم .. أنت أيزيدي كافر بنظرهم ..!**

رد الرجل ...

- **أنا أيزيدي كافر وابنتي أيزيدية كافرة ..لكن سأذهب لأخلصها .. تعبت من الانتظار .. حتى الكفرة يحتاجون إلى سلام))**[xxvi].

جاء النص على لسان الراوي وهو والد البنت المفقودة وكيف انه وصل الى درجة من اليأس بأنه يريد الذهاب إليهم واستعادتها , فالخطاب واضح فهو أيزيدي كافر وابنته كذلك , وهذا هو الفكر المتعارف عليه لدى الدواعش الا أنه يختم كلامه حتى الكفرة يحتاجون الى السلام وهي حجة واضحة كونهم في النهاية بشر .

وفي نص آخر ضمن حوار توجه في الخطاب الى والد البنت المفقودة من قبل (رافيار) الرجل الذي حرر الفتيات فوعده بأن يسترجع له ابنته مقابل الاموال , هنا يظهر الحجاج المغالط واضحاً في فكر داعش بعد ان كان همهم في البداية السيطرة على سنجار بأن يقتلون وينتهكون ويغتصبون دور مبرّر بحجة إن الأيزيدين كفرة , يظهر الحوار انتقالاً في فكرهم وتعاملهم مع هذا الطائفة , فقد تدهورت أوضاعهم وصاروا يستقبلون الأموال مقابل إرجاع النساء الأيزيديات ((

- **أعدك بالعثور على أبنتك .. طال الوقت فعلاً وطال الأنتظار .**

مد يده في جيب جانبي , وأخرج رزمة نقدية حمراء ثخينة , مربوطة بخيط بلاستك التفّ أكثر من مرة عليها :

- **لم تعد كافية ..الكلاب يزيدون في مطالبهم في كل لحظة .**

كانا ينظران إلى جبل عرفات المقابل وأشجاره المتطاولة على السفوح :

- **الدواعش في وضع تعب صعب ..يبحثون عن المال بأية طريقة , ورفعوا من سقف مطالبهم فيما يخص هذا الموضوع .**

تمتم الرجل الصامت بشيء فاستدرك الآخر :

- **الأهالي باعوا كل شيء مقابل هذا الفرح العظيم .**

وكان يشير إلى قوس الفرح مع الصبايا الناجيات .

- **كل فتاة لها قصة مؤلمة .. لعنهم الله))**[xxvii].

أصبح هناك تحول في فكر داعش وسياسهم المتبعة بعد أن كان هدفهم بحسب قولهم نشر الفكر السّلفي والتنظيم الداعشي إلى قبولهم بالأموال مقابل تحرير النساء من الكفرة بحسب اعتقادهم بعد تدهور أوضاعهم عما كانت عليه في بداية احتلالهم .

أما رواية (حوريات الجبل) لا تفترق عن الروايتين السابقتين في رسم الأجواء الشخصية لمدينة سنجار العراقية في غيابها عن الوطن العراقي العام. لكنها تفترق عنهما في إيجاد شخصيات نسائية قد تختصر المشكلة الأيزيدية في توثيق فني للمأساة الأيزيدية عبر تسع نساء أطلق داعش سراحهن وهنّ حوامل في الشهر الأخير في رحلة جبلية استغرقت تسعة أيام مليئة بالقسوة والألم والمعاناة الفردية بين الوحوش والضباع والمفترسات الأخرى.

وفي مزج بين النهاية بالبداية تتكثف صورة الرعب التي امتثلت لها فتيات الحمل، وهنّ تحت وطأة المجهول مع الدليل الشهم الراعي (رافيار) الذي وجدناه كأحد الشخصيات الفاعلة في رواية (بنات لالش) والذي امتد الى الرواية الثالثة كدليل اضطراري لإيصال الفتيات الى المشوار الأخير وهن متثاقلات بالحمل الداعشي، ليواجهن مصائر مختلفة بسبب الدين والتقاليد الاجتماعية الصارمة التي يعرفنها جيدًا.

صورت الرواية المشهد الأيزيدي على نحوٍ دقيق وهو ينوء تحت ثقل إدارة التوحش الكارثية التي مارسها تنظيم داعش بهذه الشريحة الدينية، التي فقدت الكثير من شروط الحياة الطبيعية في سنتين من الاحتلال الداعشي .

يظهر الخطاب الديني واضحاً في نصوص الرواية , فازمة الدين هي المحور الأساس الذي وظف منه الكاتب نصوصه , غذ ظهر على لسان الرواي (باران) وهي ممرضة تعمل في مشفى في سنجار اثناء حوارها مع الفتيات الحوامل تخبرهن **((رجال الدين عندنا أصدروا أكثر من فتوى بالسماح عنكنّ , لأنكنّ أسيرات مغتصبات من جماعات شريرة وعناصر كافرة بالأديان والانسانية اغتصبت أرضنا وعرضنا وبيوتنا وأراضينا .. وتم إكراهكنّ غلى أفعال لستنّ راغبات فيها))** [xxviii].

يظهر النص الخطاب المباشر للنسوة الايزيديات وما حصل لهن من انتهاك لاعراضهن وهي ضمن مجتمعهن جريمة في حق اهلهن , إلا ان (باران) تخبرهن لاتخفن فرجال الدين سوف يصدرون فتوى بالسماح عنكن والحجة في ذلك هو انكن اسيرات وقد حصل ذلك رغماً عنكن .

وفي نص آخر تظهر لهن الحجة المغالطة في تفكير داعش الاجرامي فهم يعرفون عادات وتقاليد الايزيدين , فقد اطلق سراحهن ضنناً منهم ان اهليهن سوف يقتلوهن لانهن حوامل إلا ان(باران) اخبرتهن بالعكس وقالت في حوارها :

((أطلقت داعش سراحكن وأنتن حوامل في الأسابيع والأيام الأخيرة من ولادتكن حتى يضعونكن واهاليكن أمام الأمر الواقع . بغرض تذكيركن وإذلالكن بحملكن في كما يتصورون))[xxix].

تكشف الرواية عن المسألة الاجتماعية والدينية اللتان شغلتا الخوف في نفوس الايزيديات **((المسألتان الاجتماعية والدينية هما ما تشغلانكما وتبعثان الخوف فيكن كلكن . واعطيكن الحق كله. فديننا لا يسمح بالزواج من أديان أخرى . حتى من طبقاتنا لا يسمح . وقد يكون اجحافاً بحقنا نحن النساء مثلما هو اجحاف بحق الرجال الايزيدين... بودي ان اعلمكن وانتن في الأسر والغياب قد صدرت فتوى من شيوخنا الأجلاء , بأنه لا يمكن معاقبة الفتاة أو السيدة الايزيدية التي وقعت في الأسر وتم اغتصابها بالاكراه والقوة . فهذا قدر استثنائي تسبب به الغزاة كمجموعات ارهابية لا دين لها وانه يمكن العودة لبيوتكن بسلام من دون عار او تبعات اجتماعية او دينية تخيفكن))**[xxx].

الخطاب الذي وجهته (باران) للنسوة هو حجة مغالطة لعادات وتقاليد الايزيدين فهي تخبرهن بأن لا يخفن لان ماوقع عليهن هو رغماً عنهن والحجة في ذلك هو كون الامر قد وقع بالاكراه وخارج العرف الديني لهن والعقائدي واطلقت عليه (القدر الاستثنائي).

إن الغاية الأولى والأخيرة للحجاج هي الإقناع , ويعتمد بذلك على مجموعة من الحجج الخاضعة لجملة من القواعد ,إذ يسعى المتكلم من خلالها التأثير في المتلقي , فالمغالطة هي نوع من أنواع الحجج غير الصالحة ويلجأ اليها المتكلم في خطابه , بوصفها وسيلة تمكنه من السيطرة على الآخر فكرياً , فهي مجموعة من الحجج

التي يلجأ اليها المتكلم في تدليله على الدعوة المعروضة , إذ تهدف إلى إيهام المتلقي بأنّها حجج سليمة , في حين أنّها تنطوي على مجموعة من المغالطات المعنوية واللفظية .

وان ماذكر في سلسة الروايات الثلاث من أحداث وحوارات سردية تحمل من الحجج ما يقنع المتلقي ويؤثر فيه , وان تسلسل الاحداث الذي وظفه الكاتب بين الروايات ابتدئاً بمركز الحدث ووقوعه وهو (سنجار) في رواية (عذراء سنجار) والاشارة المبهمة للمرأة الايزيدية الى رواية الثانية (بنات لالش) التي ذكر فيها تفاصيل الفتيات الايزيدات اللاتي تم تحريرهن من داعش بدفع الاموال لهم مقابل تحريرهن ثم ينتقل الى الرواية الثالثة (حوريات الجبل) واطلاق سراح تسع نساء ايزيديات في الاسابيع الاخيرة من حملهن وما تعرضهن له في طريقهن على الجبال لحين وصولهن الى المشفى , كل هذه الاحداث كان تحمل رسالة الايزيديات وما تعرضن له من قبل التنظيم البشع الذي مارس ابشع الاساليب في حق هذا الاقلية الدينية .

نستنتج من ذلك ان الخطاب هو فهم المتغير للنصوص وفقاً لأحداث الزمن واختلاف الأمكنة ولابد من توفر حجة ودليل للتأثير , فالحجاج المغالط فو الفهم المغاير أو المعوج الذي يحاول المتكلم اثباته وان كان خاطئاً وفق ما يراه هو من صواب في اعتقاده أو ميوله ويتخذ منه المخاطبون حجة في تقوية خطابهم لاقنا المتلقي عن طريق عملية التواصل.

الهوامش

(١) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي , ناصر بن دخيل الله فالح السعيدي , اطروحة دكتوراه في البلاغة والنقد, جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية , ١٤٢٥-١٤٢٦هـ :٢٦٠.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه , ابن رشيق القيرواني , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيل بيروت , ج١ , ط٥, ١٩٥١ م : ٢٧.
(١) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي , ناصر بن دخيل الله فالح السعيدي , اطروحة دكتوراه في البلاغة والنقد, جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية , ١٤٢٥-١٤٢٦هـ :٢٦٠.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه , ابن رشيق القيرواني , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيل بيروت , ج١ , ط٥, ١٩٥١ م : ٢٧.
(٣) الصناعتين , أبي هلال العسكري , تحقيق :علي محمد البيجاوي – محمد أبي الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , بيروت , ١٩٨٦م : ٥٣.
(٤) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة , دراسة تداولية , اطروحة دكتوراه , جامعة الحاج لخضر باتنة , الجزائر , اعداد : ابتسام خراف , اشراف الدكتور :السعيد بن ابراهيم , ٢٠٠٩ -٢٠١٠ م : ٢١.
(٥) السفسطة والسفسطائيون, مقال : فهد الحارثي , ٢٨ فبراير ٢٠١٧م , نقلاً عن موقع :
http://fahadmes.blogspot.com/2017/02/blog-post.html

(٦) الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل الى العقل في الحوار , رشيد راضي , دار الكتاب الجديدة المتحدة, بيروت , ط١ , ٢٠٢٠ م : ٢٦.
(٧) الحجاج والمغالطة , رشيد راضي , دار الكتاب الجديد , المملكة المتحدة , ط١ ,٢٠١٠م: ٧٤-٧٥.
(٨) ينظر : الحوار وخصائص التفاعل التواصلي , محمد نظيف , أفريقيا الشرق , (د . ط), الدار البيضاء , ٢٠١٠م :١٥.
(٩) ينظر : المعجم الوسيط , إبراهيم مصطفى , أحمد حسن الزيات, المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر , ط٢ ,ج١, اسطنبول , تركيا , ١٩٧٢م :٢٥١.
(١٠) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة , دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والأقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم : د. محمود عكاشة , دار النشر للجامعات , ط١ , القاهرة ,٢٠١٣م :٣٠.
(١١) ينظر : التأويل , الخطاب وفائض المعنى : بول ريكور , تر: سعيد الغانمي , المركز الثقافي العربي , بيروت , ط٢, ٢٠٠٦م :٢٢٩-٢٧٠.
(١٢) ينظر : تحليل الخطاب الروائي , سعيد يقطين ,المركز الثقافي العربي , ط١ , بيروت ,١٩٨٩م :١٧.
(١٣) ينظر : خصائص الخطاب اللساني , أعمال ميشال زكريا : هبة خباري , دار الوسام العربي للنشر والتوزيع , ط١ , ٢٠١١م , ٣٩.
(١٤) ينظر : فلسفة اللغة والأعلام , هادي نعمان الهيتي :٨.
(١٥) ينظر : الاصولية الاسلامية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير , حسين سعد , مركز دراسات الوحدة العربية , ط٢ , ٢٠٠٦م :٩٤.
(١٦) ينظر : السلفية الشيعية والسنية (بحث في تأثيرها في الاندماج الاجتماعي) د . عبد الله البديري :٦٨ . مجلة اغتراب , مركز بلادي للدراسات والابحاث الأستراتيجية , العدد الثالث , ٢٠١٧م :٩٣.
(١٧) عذراء سنجار , وارد بدر السالم , مؤسسة ثائر العصامي , ط٣, ٢٠١٨م :٢١.
(١٨) م . ن : ٦٤.
(١٩) م . ن : ٣٢٨.
(٢٠) الرواية : ٥٢.
(٢١) م . ن : ٢٥٣.
(٢٢) الرواية : ٢٦٢.
(٢٣) الرواية : ٨٢.
(٢٤) بنات لالش , وارد بدر السالم , بيت الياسمين للنشر والتوزيع , ط١ ,٢٠١٩م :٣٢.
(٢٥) الرواية : ٣٦.
(٢٦) حوريات الجبل , وارد بدر السالم , دار حكاية للنشر والتوزيع , ٢٠٢٠م:٢٧.
(٢٧) الرواية : ٢٧.
(٢٨) م . ن : ٣١.